الكلدان في المنفى

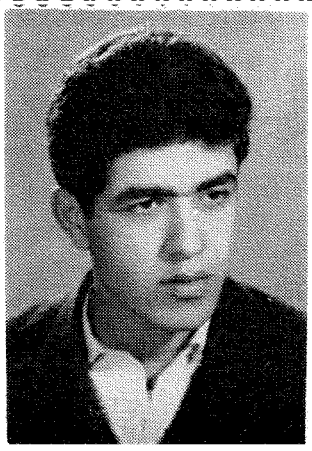

« على الفرات والدجلة كانت تنهض رماح الكلدان من تلال الشفق المشرق .. لتستقبل بابل في المساء جـــواد فارسها « بختنصر » ومركبات السبايا ونمال الاسرى عملة الاسوار . يقف التاريخ القديم هنا .. ويبدأ الحديث حين يغمر الاسرى وجـــه بابل ، ويطعمون الكلدان لكل افق » .

ـ ١ ـ حنين في المنفى

محارب جريح :

ـ ابابل يا منابع فضة كسلى على الافق
أيا ذكرى رماديه
تصب الريح فيك .. وأنت ساهمـــة !
كأنك بابل غير التي شردت مـع النهر !
كأنك بابل أخرى !
وتحت الليل أنت سبية للريح مغلوله
وخابية لعرس الغول تحت ضفيرتي غوله
وأنت بخاطر الامس الطري.. بخاطري.. طفله
تفيض مع الفرات .. تسابق الدجله
« أيا ذكرى رماديه »
وأسرى «بختنصر» ينبهون الريح من ابراجك العليا
ويختطفون من شرف البيوت نعاس السنة القناديل
وبهرك بات مقتولا.. حصانا يحمل الموتى.. الى المنفى
وتدفن بابل في الرمل عينيها .. فلا تدري
أتحت النهر نامت بابل في الليل.. أم في ضفة النهر

***

لعل بنيك قد ضلوا على بوابة الفجر
لعل حداءهم في الليل مر على حصى النهر
فلم تسمع به بابل !
أصبك ـ والنجوم بعيدة ـ خمرا بمائدتي
وأهذي « بابل بلدي » .. فأظمأ كلما ناديت ..
أنسى ان طيفك مر في شفتي
« أيا ذكرى رماديه » .
وأسهر حين تنطفىء الدروب اليك .. يشرق وجهك
الانقى من الدمعه
يظل وراء أسوار الغروب .. وراء أسواري
قرارا عائما بالموت .. يحلم باليباب ..
ويحلم الكلدان في المنفى بأوسمة الحديد..
وأذرع النار

***

الشاعر :

ـ بابي انت واقفة.. كنهر الريح فوق فتيل مصباحي
مكبوجهك الدامي بنافذتي
فأين الحبر ؟ أين دواتي الحبلى ؟ اجرعـي مثلي..
فقد ترويك محبرتي
ونامي ـ ان تعبت ـ على الوساد بجانبي.. عندي..
ليرعى من دمي ما تكتمين ..
وتنهل العتمات من سنتي
وغطي جانجيك بكل ريح مومس عبرت
اغسلي الآفاق لي بيضاء .. لا .. لا تغسلي ..
نامي هنا
كانت جراح فيّ .. وانطمرت .

***

عيونك صرتا كسل مكحلتان بالخرز
ووردة غبطة حمراء ـ وجهك في يد السمار ـ
يرشح ريقها خمرا
ويترع أكؤس الكلدان .. للاسرى .
مغمّسة عيون بنيك بالاسفار والحمى
كحمى الريح والمطر
وليس سوى الغناء سوى سلال الحزن والصبار..
للسفر .

٢ ـ الشبح

بختنصر
عـاد حيـا
عاد مجنونا وشاعر
سامريـــات رأينـــه
كان فوق البرج منصوبا كرمح من ضياء
يقبض الريح .. ويختـال على سـور المساء
وتطلعن اليه !
واقفا في منفذ الليل .. مليحـا بيديه
ينهر الريح اذا هبت .. فترتـد اليه
وتطلعن اليه !
ـ « ألف طوبى للصغار
لا تخافوا
لست ربا حاقدا .. لست الها من غبار
أنا سيف كان مدفونا وعاد
كنت في المنفى حبيسا .. ورجعت

***

لم أمت .. نمت قرونا .. وبعثت . »
وتطلعن اليه !
أزهر العلّيق والتف حول أعمدة الليل الرطيبه
وترامت في قرار النهر أصوات رهيبه :
« ألف طوبى للصغار
الف طوبى للمصلين على ضوء النهار » .

٣ ـ أراجيف في بابل

باقات النار على الابراج

فصل من رواية

سيناء بلا حدود

بقلم سميرة عزام

فاته (*) أن يستوضح سائق التاكسي حين وضعه في رأس الشارع قائلا له بأن السيارة لا يمكن ان تقف به لصق المصرف ، عن سبب وقوفها بعيدا هكذا ، اذ مد يده بالاجرة ، ثم أطبق الباب ، وحاول ان ينعطف يمينا باتجاه ساحة النجمة حيث تقوم تلك الساعة التي بدا له انها الشيء الوحيد الذي لم يتغير في المدينة وان عقاربها لم تكد تتحول ، فلعلها كانت ايضا في العاشرة والنصف حين مر بها لآخر مرة قبل عشر سنوات ليركب سيارة الشركة التي ستحمله الى المطار ، ولكنه بعد ان خطا بضع خطوات لاحظ ان الناس يمشون في شبه هرولة ، وان بعض الحوانيت اغلقت مصاريعها نصف اغلاقة ، وان انفار الشرطة تبدو متحفزة بشكل غير مألوف ، وان الناس قد رسموا وجوههم بطريقة تتراوح بين ان تكون قلقا او ضيقا او انفعالا .. واذ بلغ تقاطع الشارع فوجيء بأعداد من الشبان لعلهم ان يكونوا طلبة او اعضاء منظمات يمشون صفوفا غير منتظمة ويهتفون هتافات مترنحة متقطعة يعوزها التماسك لتعبر عن شيء ، ثم ينعطفون يمينا ايضا باتجاه الساعة حيث تتحشد الصفوف في كتلة تتسع وتتلاز وهي تتلقف مزيدا من هؤلاء الشبان والشابات انحدروا اليها من تشعبات شارع المعرض ، ومن الشارع الاخر الذي ينحدر نحو الساعة من طريق مبنى البريد . ثم يكبر الحشد ويكبر ، ويلوح مزيد من هذه الرايات التي تخفق بمختلف الاسماء والشعارات ، والتي اتسخت او كادت لكثرة ما رفعت في مناسبات ، وأخذت الاصوات المتفرقة الناشزة تجتمع وتعرض ، ثم تغدو صخابة هادرة وهي تردد نداءات موقعة صب فيها هؤلاء المتظاهرون كل انفعالاتهم التي ازدادت حرارة مع شمس بدأت تتسلق تلك الرقعة الظاهرة من السماء ، ومع حركات الايدي التي ترتفع وتهبط في ايقاع يساوق الهتاف « الجزائر عربية ، الجزائر عربية » .

وحين استدار وقد جبهته المظاهرة لم يجد لنفسه موطيء قدم فقد كان الهتّافه من ورائه ومن أمامه وعن جانبيه ، وكان فمه الفم الوحيد المطبق بينها ، وقد امتدت يده بحركة غريزية ليطمئن الى وجود المحفظة التي استقر فيها الشيك ، في حين ارتفعت يده الاخرى تدفع قطرات العرق عن جبهته الباردة اذ وجد نفسه محاصرا من كل الجهات بل ومدفوعا الى ان ينقل خطواته باتجاه الساعة ، وان يبدو واحدا من هؤلاء المتظاهرين دون أن يدرك مناسبة التظاهر تماما . وتتوقف المظاهرة فيما حول الساعة وتلتفت الرؤوس المحمرة الآذان في هدنة من الهتاف لتصغي الى واحد من المتظاهرين اعتلى درجات البرلمان وأخذ يصيح بكلام غطى عليه لهاث اللاهثين ودمدمات المتدافعين بالمناكب وصياح واحد من هنا او هناك « الجزائر عربية » « يسقط الاستعمار » « عربية عربية » وينتهي الخطيب ، او لا بد انه انتهى ، اذ ارتفع التصفيق وعاد زعماء الهتّافة يتقافزون فوق الاكتاف وعادت الكتلة المتلازة تتململ واللافتات تتحول الى وجهة جديدة ، وتتمدد المظاهرة وتتشعب في الشارعين الصغيرين اللذين يؤديان بها الى شارع رياض الصلح . ثم تلتقي تلك التفرعات في كتلة واحدة كبرى تمتد على عرض الشارع سورا من الاجساد المنفعلة اشتد بها الهيجان ، فعادت تصرخ وتقيم جدارا من الاصوات يعلو الرؤوس ويظل معلقا في الهواء لا يسقط الى الارض اذ لا فرجة بين الاجساد المتلاحمة .

وفجأة اصبح واحدا منهم ، شبك متظاهر ذراعه بذراعه ، ودفعه هؤلاء الذين كانوا خلفه ، وبدأت الصفوف تتعرج وتلتوي في شيء من التصعيد بدت معه مقدمة التظاهرة اكثر طولا واختالت شعاراتها فوق هامة اللافتات الاخرى في طريق لا يمكن لسائر ان يرقاه الا لاهثا ، فهو ممعن في تصعيده حتى يمر بالبوابة الجنوبية للسراي وقد ربض أمامها جنديان انتقلا بضع خطوات الى الداخل اذ مرت بهما التظاهرة .

وانتهى التصعيد لتستدير الطليعة يمينا ، ثم يسارا

(*) مشهد من الفصل الاول من رواية « سيناء بلا حدود » التي تصدر قريبا .

ونساء في شرف الدور
أبواق نحاس راكضة خلف الظلمات
أقدام طبول وحشيه : « تم .. تم .. تت .. تم »
« عاد الكلدان من المنفى »
ـ عادوا ؟!
ـ عادوا ؟!
الليل مزاريب تشقع
ريح وعيون تتطلع .
تتلفت بابل كالحبلى
« عاد الكلدان من المنفى » !!
الرمح .. السيف .. الترس .. عصا
باقات النار على الابراج

ونساء في شرف الدور .
. . . . . .
. . . . . .
ـ لا شيء .. أراجيف قيلت .
في المنفى مات الكلدان
نهشتهم ريح مجنونه
صرعتهم حمى ملعونه »

***

أقدام طبول وحشيه
ـ « ها .. ها .. عادوا »
تتلفت بابل كالحبلى

دمشق

فواز عيد